

الحديث والحقوق والعمل

تدخل السنة إلى البيت والعمل والسوق كما تعلم الصلاة والذكر. يشرح هذا الكتيب حق الله، وبر الوالدين، ومسؤولية الأسرة، وأجر العامل، وكرامة الكسب والأمانة من خلال نصوص ومواقف قريبة من الحياة.

01 العبادات ومسؤولية الإنسان عن حقوق غيره

كان معاذ رديف النبي ﷺ حين سألته عن حق الله على عباده. وجاء الجواب بتوحيده وعبادته؛ فتبدأ الحقوق في التصور الإسلامي من علاقة الإنسان بربه الذي خلقه ورزقه. وفي الحديث نفسه بشاره، مع تنبيهه إلى خطر الاتكال عليها وترك العمل. يجتمع الرجاء والمسؤولية في تعليم واحد يشعر فيه المتعلم بقرب معلمه وعنايته.

وحق الله يتصل بما أمر به من العدل بين الناس. في صحيح مسلم يسأل النبي أصحابه عن المفلس، فيذكرون من لا مال له، ثم يصور شخصا يأتي بعبادات وقد اعتدى على الآخرين في أعراضهم وأموالهم وأبدانهم. تستوفي مظالمهم من حسناته، فيكتشف السامع أن حساب الحقوق أوسع من حساب ما يملكه المرء في الدنيا.

هذا المثال يجعل أثر العبادة حاضرا في المعاملة. فالصلاة والصوم أعمال عظيمة، وحفظ أموال الناس وكرامتهم مسؤولية عظيمة كذلك. من يؤدي موظفا أو قريبا لا تزول مظلمته لمجرد ظهور صلاحه في جانب آخر. وللمعنى وجه مطمئن أيضا: حق الضعيف معلوم عند الله، والقدرة على إسكات شكواه في الدنيا لا تحول الظلم إلى عدل.

المراجع: 1، 2

02 بر الوالدين: صحبة قبل أن يكون عنوانا

سأل رجل النبي ﷺ عن هو أحق الناس بحسن صحبته، فذكر الأم ثلاث مرات ثم الأب. تحمل كلمة الصحبة معنى يتجاوز هدية في مناسبة: قربا، وحسن استماع، وصبرا على الحاجة، ومشاركة في شؤون الحياة. والتكرار يلفت إلى منزلة الأم، مع بقاء حق الأب داخل الجواب نفسه.

قد تظهر هذه الصحبة في مشهد صغير: ابن يسمع حديث أمه حتى تتمه، أو يساعد أباه في أمر ثقل عليه. هذه صور نفهمها من حسن الصحبة، وتتغير تفاصيلها باختلاف حاجة الوالدين وقدرة الولد. يجمعها انتقال البر من شعور باطني بالمحبة إلى معاملة يذوق القريب أثرها في وقته وصحته ووحدته.

ويجمع القرآن في سورة لقمان بين الثبات على التوحيد ومصاحبة الوالدين بالمعروف، حتى إذا دعوا إلى الشرك. يتعلم القارئ أن الاحترام لا يساوي الموافقة على كل طلب، وأن الاختلاف في الاعتقاد لا يلغي أصل حسن المعاملة. بذلك تتسع صورة البر: قلب رحيم، ولسان كريم، وفعل نافع، مع وفاء الإنسان بما يؤمن به ويجب عليه.

المراجع: 3، 4

03 النفس والأسرة لهما نصيب من الوقت

زار سلمان أبا الدرداء، فرأى من حاله شدة الاشتغال بالصيام والقيام، وأثر ذلك في حياته الأسرية. فحثه على الطعام والراحة، ثم قاما آخر الليل يصليان. وفي ختام الموقف ذكره بحق ربه ونفسه وأهله، وبلغ الخبر النبي ﷺ فقال إن سلمان صدق. هكذا حفظت الرواية النصيحة وموافقة الرسول عليها معا.

المشهد يشرح أن حقوق الحياة اليومية جزء من حسن التدبير. فالراحة التي تعين على العمل، والوقت الذي يجد فيه الأهل صاحبهم، والطعام الذي يقيم البدن، تدخل في ترتيب المسؤوليات. لم ينفك سلمان صاحبه عن الصلاة؛ بل شاركه فيها بعدما أعطى الراحة موضعها، فصار الجمع بين الحقوق أوضح من خطاب يلقي أحد جوانب الحياة.

وينتقل هذا المعنى إلى العمل أيضا. للموظف عمل يؤديه، ولأهله صحبة، ولنفسه قدرة محدودة تحتاج رعاية. التوازن هنا عناية بحقوق حقيقية، وليس مساواة حسابية ثابتة بين الساعات. ويتعلم الإنسان من المثال أن تفوقه في باب قد يحتاج مراجعة إذا كان يقوم على إهمال أصحاب حقوق أخرى، وأن النصيحة الصادقة تساعد على رؤية الصورة كاملة.

المراجع: 5

04 الأجير يأخذ حقا لا منة

في حديث قدسي يرويهِ أبو هريرة في صحيح البخاري وعيد شديد لمن استأجر أجيرا، وأخذ منه العمل كاملا، ثم لم يعطه أجره. يرد ذلك مع الغدر وبيع الحر وأكل ثمنه. اجتماع هذه الصور يكشف عناية النص بصيانة الإنسان من الاستغلال، ويجعل قوة صاحب العمل مرتبطة بمسؤوليته لا بحرية التصرف في حقوق العامل.

تصور عاملا أنهى إصلاحا متفقا عليه، ثم حجب صاحب العمل أجره لأنه يستطيع المماثلة. يساعد الحديث على تسمية المسألة: المال المستحق مقابل العمل حق لصاحبه، لا عطية يتفضل بها المشغل إن شاء. ومن هنا يكتسب وضوح الاتفاق وحفظ ما يدل على الأداء أهمية عملية، لأنهما يساعدان على معرفة ما لكل طرف وما عليه.

قد يقع نزاع حقيقي حول مقدار العمل أو مطابقته للاتفاق، وحينئذ تتبين الحقوق بتفاصيل العقد والبيانات والجهة المختصة. أما الصورة المذكورة في الحديث فمعينة: استيفاء العمل ثم منع أجره. يربطها النص بيوم القيامة، فيشعر القارئ أن الأمانة المهنية امتداد لإيمانه بالعدل والجزاء، حتى حين يكون الطرف الضعيف عاجزا عن أخذ حقه فورا.

المراجع: 6

05 كرامة الكسب وبذل الجهد

يروي المقدم أن النبي ﷺ أثنى على الطعام الذي يأكله الإنسان من عمل يده، وذكر أن داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده. المثال نبوي قبل أن يكون اقتصاديا: منزلة داود لم تجعله يستكف عن الكسب، فاجتمع شرف الرسالة وشرف السعي في حياة واحدة.

يفتح الحديث عين القارئ على قيمة الجهد النافع. فالحرفة والخدمة والزراعة والصناعة صور يعتمد فيها بعض الناس على بعض، ويصير ما يبذله العامل سببا في رزقه ورزق أسرته. وفي تقدير هذا الجهد احترام لمن يصلح الأشياء ويحمل الأعباء، ولو لم يكن عمله ظاهرا في مقدمة المشهد أو مصحوبا بمكانة اجتماعية عالية.

والكسب يتصل بالنية التي درسناها من قبل، وبالعدل الذي يضبط طريقة العمل. قد يقصد الإنسان إعفاف نفسه والقيام على أهله وخدمة الناس، ثم يترجم قصده إلى صدق وأمانة. بهذا يلتقي العمل والعبادة في حياة المسلم. وتفصيل أحكام المهن والعقود ينظر في طبيعة كل عمل وشروطه، بينما يبرز مثال داود قيمة المشاركة الجادة في أسباب الرزق.

المراجع: 7، 8

06 الأمانة في السوق وفيما أوتمنا عليه

يربط حديث حكيم بن حزام في البخاري بركة البيع بصدق المتبايعين وبيانهما، ويذكر أثر الكتمان والكذب. فالمعاملة ليست تبادل مال وسلعة فحسب؛ إنها أيضا تبادل معلومات يثق بها الطرفان. عندما يعرف البائع عيبا مؤثرا، يصبح إظهاره جزءا من فهم المشتري لما يقدم عليه، وتصبح الثقة قيمة تنشأ من فعل واضح.

ومن الأمثلة التعليمية بيع جهاز مستعمل فيه خلل يعرفه صاحبه. وصفه وصفا أميناً يمكن المشتري من اتخاذ قراره على بينة، أما تجميل العبارة مع إخفاء الخلل فيغير حقيقة ما يتصوره. الحديث يجعل النجاح أوسع من إتمام الصفقة؛ فبركة المعاملة مرتبطة بالصدق، وليست مجرد زيادة المبلغ الذي يحصل عليه البائع.

ويأمر القرآن بأداء الأمانات إلى أهلها والعدل في الحكم. يشمل معنى الأمانة ما أودع عند الإنسان من مال أو مسؤولية، ولذلك يلتقي حفظ أجر العامل وبيان السلعة ورعاية الأسرة في أصل جامع: إعطاء الحق لصاحبه. ومن هذه الحياة اليومية ينتقل الكتيب التالي إلى القصص والآخرة، ليرى كيف تحفظ الأخبار عبرة العمل ومآله.

المراجع: 9، 10

* المراجع

1. تعليم معاذ حق الله على العباد

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، الحديث 2856

يجمع الحوار أصل التوحيد والبشارة والتنبيه إلى الاتكال؛ ومنه تبدأ صلة الحقوق بالعبادة والمسؤولية.

المرجع الأصلي: sunnah.com

2. المفلس وحقوق من اعتدى عليهم

الإمام مسلم — صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، الحديث 2581

يحول مثال الإفلاس من نقص المال إلى تبعة الاعتداء على الآخرين، فيشرح أثر الحقوق في الجزاء الأخروي.

المرجع الأصلي: sunnah.com

3. الأم والأب وحسن الصحبة

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب الأدب، الحديث 5971

سؤال الرجل وجواب النبي يقدمان البر بوصفه حسن صحبة، مع تأكيد منزلة الأم وذكر حق الأب.

المرجع الأصلي: sunnah.com

4. صحبة الوالدين بالمعروف مع الثبات على التوحيد

القرآن الكريم — سورة لقمان، الآية 15

تجمع الآية الامتناع عن طاعة الوالدين في الشرك ومعاملتهم بالمعروف؛ فتشرح الفرق بين المخالفة والإساءة.

المرجع الأصلي: quran.com

5. سلمان وأبو الدرداء وجمع الحقوق

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب الصوم، الحديث 1968

يحفظ الخبر نصيحة سلمان وموافقة النبي عليها. الموقف يشرح مكان حق النفس والأهل في حياة العابد.

المرجع الأصلي: sunnah.com

6. الوعيد في منع أجر العامل

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب الإجارة، الحديث 2270

حديث قدسي يذكر من استوفى عمل الأجير ثم منعه حقه؛ الصيغة المحددة تساعد القارئ على فهم محل الوعيد ومسؤولية صاحب العمل.

المرجع الأصلي: sunnah.com

7. عمل داود وفضل الكسب باليد

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب البيوع، الحديث 2072

يجعل الحديث حياة نبي مثالا لكرامة الجهد والكسب، فيصل المعنى الإيماني بالسعي اليومي.

المرجع الأصلي: sunnah.com

8. القصد الذي يصحب العمل

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، الحديث 1

يربط الحديث العمل بقصد صاحبه، وهو صلة هذا الكتيب بشرح النية في كتيب الفقه والعبادات.

المرجع الأصلي: sunnah.com

9. الصدق والبيان وبركة البيع

الإمام البخاري — صحيح البخاري، كتاب البيوع، الحديث 2079

يمكن للقارئ أن يقارن في النص بين أثر الصدق والبيان وأثر الكذب والكتمان، ويفهم المثال التطبيقي للسلعة المعيبة.

المرجع الأصلي: sunnah.com

10. أداء الأمانة والعدل

القرآن الكريم؛ تفسير ابن كثير — سورة النساء، الآية 58

يشرح ابن كثير عموم الأمانات، فتجتمع تحتها صور المال والمسؤولية والوفاء بالحقوق الواردة في الكتيب.

المرجع الأصلي: quran.ksu.edu.sa

* أسئلة وإجابات

ما الذي تضيفه عبارة «فاستوفى منه» إلى فهم الحديث عن أجر الأجير؟

تحدد الصورة المذكورة: أخذ صاحب العمل منفعة العامل وأتم العامل ما استؤجر له، ثم منع أجره. فهي تبرز أن الأجر حق مقابل عمل مستوفى، وتميز هذه الصورة عن نزاع يحتاج معرفة تفاصيل الأداء والاتفاق.

كيف يجتمع بر الوالدين مع مخالفة طلبهما إذا دعوا إلى الشرك؟

تبين آية لقمان أن الولد يثبت على التوحيد، ويستمر في صحبتها بالمعروف. فحسن الصحبة والرعاية لا يعينان الموافقة على كل طلب، والمخالفة لا تقتضي إساءة المعاملة.

المقال في لماذا الحديث؟